التناص في شعر عبد المجيد قرغلي

ديوان عودة إلى الله أنموذجا

إعـداد

أ.د/ عبد الحافظ عبد المنصف خليف

أستاذ الأدب والنقد المساعد

في كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

١٤٤٤ هـ- ٢٠٢٢م

ض

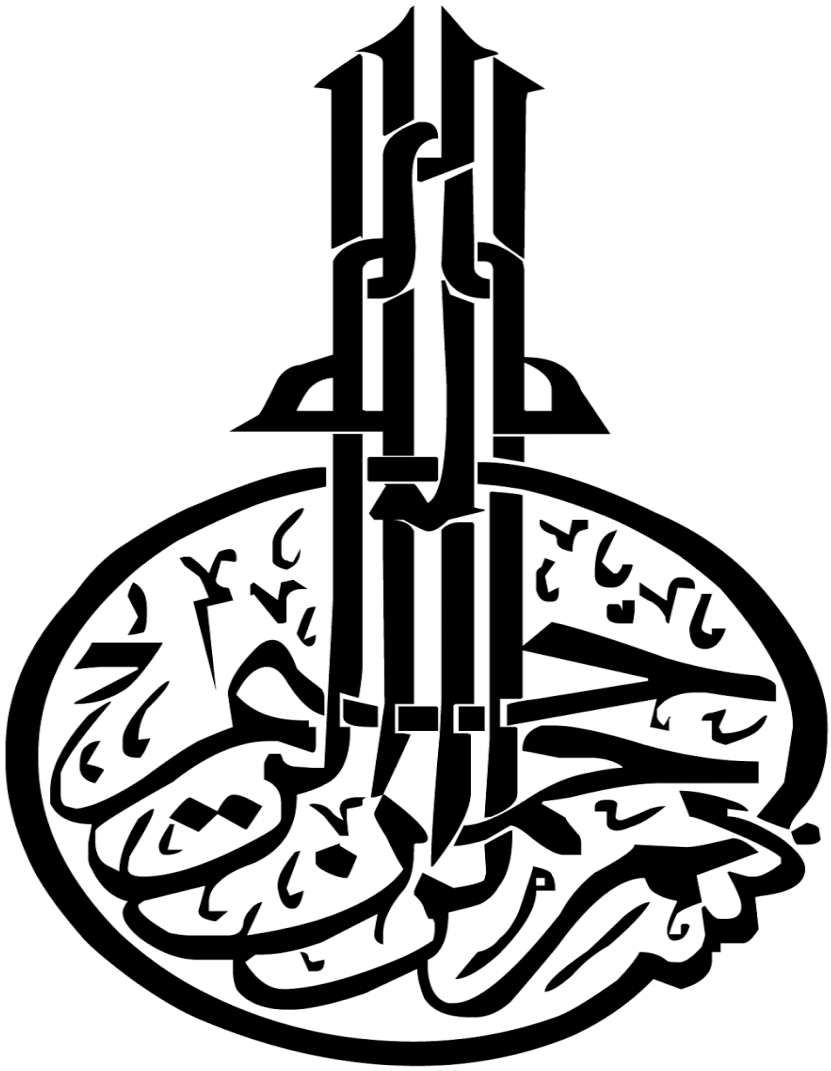

التناص في شعر عبد المجيد فرغلي - ديوان عودة إلى الله أنموذجا

عبد الحافظ عبد المنصف خليف
قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني:
AbdelHafezKhalif.lan@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

فإن الثقافة مادة كل إبداع، وما تفوق أديب عرفته البشرية إلا بالوقوف علىٰ إبداع سابقيه، والاتصال بهم اتصالاً بقدر ما يحافظ علىٰ خصائص النوع الأدبي الذي يكتب فيه وأعرف الجماعة التي يتنمي إليها، وبقدر ما يستوعب من تراث أمته وواقعها المعاصر، ويبرز شخصيته بما هو مبدع متميز حتىٰ يمكن القول: إن كل نص أدبي هو حالة انبثاق عما سبقه من نصوص تماثله فىٰ جنسه الأدبي. وهذا الانبثاق ليس مجرد تقليد أو محاكاة فارغة المضمون ، أو إعادة لإنتاج نصوص سابقة ، حيث يستطيع كل جيل أدبىٰ أن يبدع شفرته المتميزة ، بل إن المبدع نفسه كفرد قادر علىٰ ابتكار شفرته التىٰ تحمل خصائصه هو، وهذه الأخيرة هي حالة التميز العليا التي لا يحققها إلا قلائل من المبدعين الذين يغيرون مجرىٰ الأدب ويطورونه إلىٰ مد إبداعي جديد. وقد أطل العصر الحديث علىٰ الأدب العربي بكثير من التجديدات التي أسهمت في قراءة التراث بطريقة مواكبة للتطوير والحضارة، كما ساعدت فىٰ توجيه المبدعين إلىٰ العمل من خلال النظريات والمناهج التي تتوافق مع معطيات العالم الجديد. وقد كان مصطلح "

التناص " من أهم المصطلحات النقدية التي ظهرت فىٰ الدرس النقدي في النصف الثاني من القرن العشرين عند السيميائيين والبنيويين، ثم رواد المدرسة الشكلانية الروسية وعلىٰ رأسهم " باختين ". ولم يكن النقد العربي بمعزل عن تلك التطورات النقدية التي لحقت الدرس الأدبي العالمي، إذ كان رواده يراقبون من كثب التطور النقدي الذىٰ شهده العالم العربي ، وكانت الترجمة هىٰ الوسيلة الأنجح فىٰ نقل هذه الأفكار ودراستها في العالم الشرقي. وإدراكا مني لدور التناص في بناء القصيدة العربية عقدت النية علىٰ دراسة هذا الموضوع تحت عنوان " التناص في شعر عبد المجيد فرغلي ديوان عودة إلىٰ الله أنموذجا" وقد درسته من خلال مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: التناص – شعر عبد المجيد فرغلي– ديوان عودة إلىٰ الله أنموذجا– التناص عند العرب والغربيين– النقد العربي والنقد الغربي.

Intertextuality in the poetry of Abd al-Majid Farghaly - Divan Awda to Allah as a model

Abdel Hafez Abdel Monsef Khalif
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Menoufia, Al-Azhar University, Egypt.
Email: AbdelHafezKhalif.lan@azhar.edu.eg

Abstract:

Culture is the substance of all creativity, and no writer known to humanity excels except by standing on the creativity of his predecessors, and communicating with them to the extent that he preserves the characteristics of the literary genre in which he writes and knows the group to which he belongs, and to the extent that he comprehends the heritage of his nation and its contemporary reality, and highlights his personality with what is creative. Distinguished so that it can be said: Every literary text is a state of emanation from the texts that preceded it in its literary genre. This emanation is not merely an imitation or imitation of empty content, or a reproduction of previous texts, whereby each literary generation can create its own distinct code. Few creators who change the course of literature and develop it into a new creative tide. The modern era overlooked Arabic literature with many innovations that contributed to reading the heritage in a way that kept pace with development and civilization, and also helped direct creators to work through theories and approaches that are compatible with the data of the

new world. The term "intertextuality" was one of the most important critical terms that appeared in the critical study in the second half of the twentieth century among the semiotics and structuralists, and then the pioneers of the Russian formal school, headed by "Bakhtin". Arab criticism was not isolated from those critical developments that followed the international literary study, as its pioneers were closely monitoring the critical development witnessed by the Arab world, and translation was the most successful means of transmitting and studying these ideas in the eastern world. Aware of the role of intertextuality in constructing the Arabic poem, I decided to study this subject under the title "Intertextuality in the Poetry of Abd al-Majid Farghali, Diwan Return to God as a Model," and I studied it through an introduction, three topics, a conclusion, and an index of sources and references.

Keywords: Intertextuality - The poetry of Abd al-Majid Farghali - The Diwan of Return to God as a model - Intertextuality for Arabs and Westerners - Arab criticism and Western criticism.

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان " علمه البيان " وصلاة وسلاما علىٰ خير ولد عدنان، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبع هداه وسار علىٰ نهجه إلىٰ يوم الدين.

" وبعد "

فإن الثقافة مادة كل إبداع، وما تفوق أديب عرفته البشرية إلا بالوقوف علىٰ إبداع سابقيه، والاتصال بهم اتصالاً بقدر ما يحافظ علىٰ خصائص النوع الأدبي الذي يكتب فيه وأعرف الجماعة التي يتنمي إليها، وبقدر ما يستوعب من تراث أمته وواقعها المعاصر، ويبرز شخصيته بما هو مبدع متميز حتىٰ يمكن القول: إن كل نص أدبي هو حالة انبثاق عما سبقه من نصوص تماثله في جنسه الأدبي.

وهذا الانبثاق ليس مجرد تقليد أو محاكاة فارغة المضمون، أو إعادة لإنتاج نصوص سابقة، حيث يستطيع كل جيل أدبي أن يبدع شفرته المتميزة، بل إن المبدع نفسه كفرد قادر علىٰ ابتكار شفرته التىٰ تحمل خصائصه هو، وهذه الأخيرة ه حالة التميز العليا التي لا يحققها إلا قلائل من المبدعين الذين يغيرون مجرىٰ الأدب ويطورونه إلىٰ مد إبداعي جديد.

وقد أطل العصر الحديث علىٰ الأدب العربي بكثير من التجديدات التي أسهمت في قراءة التراث بطريقة مواكبة للتطوير والحضارة، كما ساعدت في توجيه المبدعين إلىٰ العمل من خلال النظريات والمناهج التي تتوافق مع معطيات العالم الجديد.

وقد كان مصطلح " التناص " من أهم المصطلحات النقدية التي ظهرت في الدرس النقدي في النصف الثاني من القرن العشرين عند السيميائيين والبنيويين، ثم رواد المدرسة الشكلانية الروسية وعلىٰ رأسهم " باختين ".

ولم يكن النقد العربي بمعزل عن تلك التطورات النقدية التىٰ لحقت الدرس الأدبي العالمي، إذ كان رواده يراقبون من كثب التطور النقدي الذي شهده العالم العربي ، وكانت الترجمة هىٰ الوسيلة الأنجح في نقل هذه الأفكار ودراستها في العالم الشرقىٰ.

فنقله جملة من النقاد العرب عن طريق الترجمة إلىٰ بيئتهم الجديدة، وعملوا علىٰ نشره في كل ربوع الوطن العربي في مدة وجيزة، ليتناوله الجميع كل حسب منهجه ومنطلقاته الفكرية.

فكانت النتيجة تعدد المسميات لمصطلح واحد، مثلما كان عليه الغرب قبل الانتقال ولكنها تدور كلها في فلك المادة الأم ولم تبتعد عنها.

وإدراكا مني لدور التناص في بناء القصيدة العربية عقدت النية علىٰ دراسة هذا الموضوع تحت عنوان " **التناص في شعر عبد المجيد فرغلي ديوان عودة إلى الله أنموذجا**".

وقد درسته من خلال مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

فجاء المبحث الأول بعنوان: " مفهوم التناص ونشأته عند العرب والغربيين ".

والمبحث الثاني ألقيت فيه الضوء علىٰ الشاعر وتراثه الابداعي.

وجاء المبحث الثالث بعنوان " التناص في شعر عبد المجيد فرغلي ديوان عودة إلىٰ الله أنموذجا " وتناولت فيه التناص من الجوانب الآتية:

أولا: التناص مع القرآن الكريم

ثانيا : التناص مع الحديث الشريف

ثالثا : التناص مع السيرة النبوية

رابعا : التناص مع الشعر العربي

" وبعد "..... فإنىٰ بذلت جهداً لاتمام هذا البحث، وإخراجه في هذه الصورة؛ ليسهم في إضاءة جانب فني من تجربة الشاعر " عبد المجيد فرغلي " فإن أكن قد أصبت فذلك من فضل الله علي، وإن كانت الأخرىٰ فحسبي أنني اجتهدت في تقديم رؤية من رؤىٰ البناء الفني في شعرنا العربي .

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل.

المبحث الأول: مفهوم التناص ونشأته عند العرب والغربيين

مفهوم التناص

أولاً - لغة:

اقترن في المعاجم القديمة بمادة " نصص" وقد أخذ منها ما ذكره صاحب تاج العروس في قوله " تناص القوم " أي ازدحموا " [1].

وفي هذه إشارة إلىٰ مفهوم " التناص" إذ تجتمع النصوص في مكان واحد، وتتداخل فيما بينها، كما يوجبه فعل الازدحام.

فهو " مصدر الفعل تناص، وفيه معنىٰ المفاعلة "، ولم يستخدم كظاهرة نقدية إلا في العصر الحديث "[2].

ويضاف إلىٰ معنىٰ الازدحام معنىٰ الانقباض كما في قولك: انتص الرجل أي انقبض، وتناص القوم أي ازدحموا.

وقد وردت هذه الكلمات في شعر السابقين بمعان متعددة، ومن ذلك قول " امرئ القيس " في معلقته: -

تصـــد وتبـــدىٰ عـــن أســـيل وتتقـــىٰ

بنـــاظرة مـــن وحـــش وجـــرة مطفـــل

وجيـــد كجيـــد الـــرئم لـــيس بفـــاحش

إذ هـــــي نصـــــته ولا بمعطـــــل [3]

فقد جاءت الكلمة في البيت الثاني بمعنىٰ الرفع.

---

(١)تاج العروس من جواهر القاموس – مرتضي الزبيدي – ت / مجموعة من المحققين ١٨ / ٨٢ مادة " نصص" – دار الهداية – الكويت – دت . .

(٢)المنجد في اللغة – علي بن الحسن الأزدي – ت / أحمد مختار عمر – ضاحىٰ عبد الباقي – مادة " نصص " – ٣ / ٢٢٢١ – ط عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨٥ م .

(٣)ديوان امرئ القيس – ت / محمد أبو الفضل ابراهيم – ص ١٦ – دار المعارف – الثالثة ١٩٦٩م .

أما بيت " الأخطل " الذي يقول فيه:-

ألا طرقـــت أروىٰ الرجـــال وصـــحبتي

بـــأرض تناصـــىٰ الحـــزن منهـــا ســـهولها

وقـــد غابـــت الشـــعرىٰ العبـــور وقاربـــت

لتنـــزل الشـــعرىٰ بطـــئ نزولهـــا [١]

فقد جاءت بمعنىٰ التقارب والتداخل بين الأرض والأرض المترجة.

ولعلها تكون قريبة الصلة بمفهومها العام – بمصطلح " التناص الذي يحمل بين طياته تلك المعانىٰ وزيادة.

ثانياً – اصطلاحاً:-

تنوعت تعريفات التناص وتعددت نتيجة لاختلاف الترجمات والمدارس النقدية، فقد عرفه " أحمد الزغبي " بأنه: " الاقتباس أو التضمين أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدىٰ الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص والأفكار مع النص الأصلي..... لتشكل نصا جديدا واحدا متكاملاً. "[٢]

ويقول عنه " عبد الله الغذامي " تناص النصوص أو النص ابن النص، فكل نص هو وعاء يحوىٰ نصوص سابقة وحاضرة مع النص الأصلىٰ".[٣]

---

(١)ديوان الأخطل – ت / فخر الدين قباوة – ص ٤٠٦ – دار الفكر المعاصر – بيروت الرابعة ١٩٦٩ م .

(٢)التناص نظريـًا وتطبيقيـًا أحمد الزغبىٰ – ص ١١ – مؤسسة عمون للنشر والتوزيع – – عمان ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م .

(٣)التناص النشأة والمفهوم " جدارية محمود درويش أنموذجا – إيمان الثنينىٰ – ص ٣٠٢ – مجلة أفق الإلكترونية – العدد / ٣٨ سنة ٢٠٠٢ م

وقد أطلق عليه " محمد بنيس": " التداخل النصىٰ، أىٰ تداخل نص حاضر مع نص غائب" (١).

وقد عرفه سعد يقطين " علىٰ أنه نتاج لبنىٰ نصية سابقة، يتعانق معها ويتفاعل فيها تحويلا أو تضمينا أو خرقا " (٢).

من خلال هذه التعريفات نستطيع أن نقول: إن التناص هو تشكيل نص جديد من نصوص سابقة، يكون نتيجة طبيعية لاندماج هذه النصوص مع بعضها بعضاً.

(١)التناص النشأة والمفهوم " جدارية محمود درويش أنموذجا – إيمان الثنيني – ص ٣ – مجلة أفق الإلكترونية – العدد / ٣٨ سنة ٢٠٠٢ م

(٢)افتتاح النص الروائي " النص والسياق " – سعد يقطين – ص ٩٨ – المركز الثقافي العربىٰ – بيروت – الأولىٰ سنه ١٩٨٩ م

التناص بين النقد العربي والنقد الغربي

أولاً:- نشأة المصطلح عند الغربيين

يرجع الفضل في ظهور هذا المصطلح في الدراسات النقدية الحديثة إلىٰ الكاتبة البغارية " جوليا كريستفيا " وهذا لا يعطيها الفضل فقط، بالرغم من أنه ينظر إليها نظرة الرائد لتسميتها هذا المصطلح، بل كان لها الفضل في تحريكة وإعطائه حركية أسمىٰ (١).

ومن ثم كان هناك اتفاق بين النقاد والغربيين علىٰ الاعتراف بأن مصطلح " التناصية " قد ابتكرته الناقدة البلغارية "جوليا كريستفيا" وليس "باختين"، وقد ورد هذا الاتفاق في كتاب " النص والتناصية " حيث قال " سومفيل": لنعمل علىٰ حل السرالبسيط للأصل، وليس مصطلح التناصية عند " باختين" وينبغي أن ننسب المصطلح " لكريستفيا"(٢).

فكريستفيا هي أول من طرح مصطلح " التناص" في منتصف الستينيات من القرن الماضىٰ من خلال أبحاث نشرتها في مجلتىٰ " تل كلونقد " وأعيد نشرها في كتابيها "السيمساء، نص الرواية" وحيث أكدت أن كل قراءة تشكل بنفسها خطابا، وذلك أن الكاتبة تعني ثلاثة عناصر هي: النص والكاتب والمتلقي، بالإضافة إلىٰ التناص، ففي النص تناص، والكاتب يمارسه واعيا أو غير واع، كما أن القراءة تثير لدىٰ المتلقىٰ خبراته وذكرياته

(١)ينظر – مصطلح التناص في خطاب محمد عزام كتاب "النص الغائب أنموذجا "– عمر شادلىٰ – ص ٧٥ – ط/ جامعه قاصدىٰ مرباح – كلية الأداب – الجزائر ٢٠١١ م

(٢)دراسات في النص والتناصية – ليون سومفيك – ترجمة / محمد خير البقاعىٰ ص ٦١ – مركز الإنماء الحضارىٰ – حلب – ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

ومعلوماته السابقة، فهو حوار بين النص وكاتبه، وما يحملة الكاتب من خبرات سابقة، كما أنه حوار بين النص ومتلقيه، وما يملكه المتلقىٰ من معلومات سابقة(١).

وقد خاض في غمار هذا المصطلح بعد "كريستفيا" الكثير من الباحثين. "كريفاتير وبارث ودريدا" وأسماء كثيرة لا حصر لها كل حسب وجهة نظره، والمنهج الذي يشتغل عليه غير أن التناص ظل مطاطيًا غير مقنن، ولم يكتسب قيمته المنهجية ووضوحه إلا علىٰ يد الباحث الفرنسىٰ "جيرار جينت"، الذىٰ انتقل بالمصطلح انطلاقًا عميقًا فاعتبره نمطًا من أنماط العلاقة النصية(٢).

وقد استغل "جانيت" مفهوم المتعاليات النصية ليحل محل التناص، فهو وفق تصوره – أجمع وأشمل ويتسع لمختلف العلاقات النصية التي ليس التناص سوىٰ واحد منها، وحدد المتعاليات النصية في خمسة أنواع هي:-

معمارية النص، والمناص، والتناص، والميتانص، والتعلق النصي(٣).

وقد تعددت تعريفات "التناص" عند النقاد الغربيين، تبعًا لتعدد المناهج الذي تناولته بالدراسة، والتي ينتمي إليها هؤلاء النقاد، فقد استخدم

(١)مصطلح التناص في خطاب محمد عزام – ص ٣٧

(٢)التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر " أحمد العوضي أنموذجا" – عصام حفظ الله واصل ص ١٦ – دار غيداء للنشر والتوزيع – عمان – الأولىٰ ١٤٣١ هـ – ٢٠١١م .

(٣)التفاعل النصي والترابط النصي بين نظرية النص والإعلاميات – سعد يقطين – مجلة علامات – مجلد ٨ – العدد ٣٢ – ص ٢١٨: ٢١٩ – صفر ١٤٢٠ هـ / مايو١٩٩٩م

هذا المصطلح في- بادئ الأمر- باسم الحوارية وقد عرفها "تودوروف":- " بأنها كل علاقة بين ملفوظين تعتبر تناصاً فكل ناتجين شفويين أوكل ملفوظين يحاور أحدهما الأخر، يدخلان في نوع خاص من العلاقات الدلالية نسميها علاقات حوارية(١).

ويعرفه "مارك أنجينو" علىٰ أنه " كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرىٰ يتحذر منذ ذلك في تناص وأن الكلمة بالتالي هىٰ ملك لكل الناس لأنها لا تدل علىٰ مسلمة من مسلمات الحس السليم لكل دراسة ثقافية (٢).

فحتمية التعايش والاحتكاك بالنصوص هىٰ أيقونة التناص عند " مارك أنجينو" وذلك راجع إلىٰ استحالة استقلالية النصوص فالمعاني هي ملك لكل الناس.

لا يختص بها واحد دون الآخر فلا يمكن لأي شخص أن يبدأ كلامه من لا شئ بل لا بد له من التفاعل والتأثر بالنصوص السابقة لتشكيل هذا النص الجديد، فعملية التأثر بالغير والأخذ منه وتوظيف ذلك في تجربة جديدة أمر لا حرج فيه ولا بدعة والنصوص ليست حكرا علىٰ أحد.

(١)المبدأ الحواري – باختين – ترجمة/ فخري صالح – ص ٩٤ – دار الشؤون الثقافية – بغداد – الأولىٰ – ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.

(٢)دراسات في النص والتناصية – ليون سومفيل – ترجمة / محمد خير البقاعىٰ – ص ٥٨

أما "رولان بارث" فيعرفه علىٰ أنه " كل نص هو تناص، والنصوص الأخرىٰ تتراءىٰ فيه بمستويات متفاوتة وبأشكال ليست عصية علىٰ الفهم بطريقة أو بأخرىٰ إذن نتعرف علىٰ نصوص الثقافة السابقة والحالية فكل نص ليس إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة[1].

فيرىٰ "بارث" أن الأصل في هذه العملية الإبداعية هو التناص، فلا يمكن أن يخلو أي نص من نصوص تظهر في ثناياه بنسب متفاوتة غير مستعصية علىٰ الفهم بطريقة أو بأخرىٰ تبرهن علىٰ ثقافة متعددة سواء أكانت سابقة أو حالية.

فخلاصة هذه التعريفات أن التناص هو:- " تشكيل نص جديد من نصوص سابقة يكون نتيجة طبيعية لاندماج هذه النصوص مع بعضها بعضا".

(١)دراسات في النص والتناصية – ص ٣٨

التناص بين النقد العربي والنقد الغربي

إذا كانت نظرية " التناص" منهجا نقديا حديثًا غربيًا فإن هناك أشعاراً ونصوصًا نقدية لشعرائنا ونقادنا العرب القدامىٰ يفهم منها إدراكهم لهذه النظرية، وسبق نقادنا العرب لها؛ مما يؤكد أنها صك جديد لعملة قديمة، وإن اختلفت وجوهها ومن الأمثلة علىٰ ذلك:-

أولاً في الشعر العربي القديم:-

فطن الشعراء العرب منذ البداية إلىٰ هذه العملية التناصية والقائمة علىٰ التداخل النصي بين نصوص متعددة لإنتاج النص الجديد يقول عنترة:-

هـــل غـــادر الشـــعراء مـــن متـــردم

أم هـــل عرفـــت الـــدار بعـــد تـــوهم(١)

وينفي " حسان بن ثابت" السرقة عن شعره قائلاً:-

لأســـــرق الشـــــعراء مـــــا نطقـــــوا

بـــل لا يوافـــق شـــعرهم شـــعري(٢)

وقد أخذ الشاعر العربي يبحث عن الأسباب لهذا الأخذ ومسوغات ذلك التفاعل فقال زهير:

ومـــــا أرانـــــا نقـــــول إلا رجيعـــــا

ومعـــــاداً مـــــن قولنـــــا مكـــــرورا (٣)

(١)ديوان عنترة بن شداد – ص ١٥ – دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٧٨م

(٢)ديوان حسان بن ثابت – ت / وليد عرفات – ٢ / ١٧٧ – دار صادر – بيروت ٢٠٠٦ م

(٣)الديوان – شرح ودراسة / ابراهيم قميحة – ص ١٦ – دار الشواف للطباعه والنشر – الرياض – الأولىٰ ١٩٨٩م

وفي هذا دليل علىٰ ترسم العملية " التناصية" في ذهن هؤلاء الشعراء الأوائل من خلال انصهار النصوص مع بعضها بعضا، فاللاحق يأخذ من السابق كلاما يعد رجيعا، وصدىٰ للسابق وكأنه إعادة لهذه التجربة، فلم يترك الشعراء ميدانا إلا تطرقوا إليه تطرقا يجعل من يأتىٰ بعدهم يتناص معهم في معانيهم وألفاظهم وتجاربهم المتشابهة، فهذه ليست إغارة ولا سرقة إنما انصهارعفوي يعود لمخزون ثقافي يملكه الشاعر، يتوافق هذا المخزون من شعره في تجربته الجديدة فيجئ وكأنه معادا ومكرورا وهذا كله يسمىٰ بتفاعل النصوص وانصهارها ضمن علاقات ثقافية إنسانية، وهو المعنىٰ الذىٰ أكده قول "جيوليا كريستفيا": إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفائية من الاقتباسات"[1]

ثانيا:- في النقد العربي القديم:-

أما نقادنا العرب القدامىٰ فالمعاني عندهم نسبية لا يختص بها أحد دون غيره، ولا يجرؤ أحد أن يدعي أن هذا المعنىٰ الغريب له دون سواه. يقول "الجاحظ" عن الشاعر وتفاعله مع اللفظ والمعنىٰ السابقين عليه: "فإنه لايدع أن يستعين بالمعنىٰ ويجعل نفسه شريكا فيه كالمعنىٰ الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحدهم أحق بذلك المعنىٰ من صاحبه[2].

(١)علم النص – جوليا كريستفيا – ترجمة / فريد الزاهي – مراجعة / عبد الجليل ناظم – ص ٧٩ – دار توبقال للنشر – الدار البيضاء – المغرب – الأولىٰ ١٩٩١م

(٢)الحيوان – ت/ عبد السلام هارون – ٣/ ٣١١ – دار الكتاب العربي – بيروت – دت.

وهذا المعنىٰ قريب جدا مما استند إليه "باختين" عندما أغلق الطريق أمام القول بإمكانية تفادىٰ توجه الكلمة إلىٰ كلمة أخرىٰ عندما قال: "إن آدم هو الوحيد الذي كان بإمكانه تفادىٰ هذا التبادل ويكون قد استثنىٰ أول مخلوق علىٰ وجه الأرض[١].

فآدم الذي توجه بالكلمة الأولىٰ إلىٰ عالم لم يكن يفترعليه هذا النص الذي استند إليه " باختين" يتطابق مع مارود في القرآن الكريم من تعليم الأسماء لآدم – عليه السلام – حين قال الله ﷻ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[٢].

وجاء في تفسيرهذه الآية:" والحاصل أن الله – ﷻ أظهر فضل آدم للملائكة بتعليمه مالم تعلمه الملائكة، وخصة بالمعرفة التامة دونهم في معرفة الأسماء والأشياء والأجناس واللغات "[٣].

وحين يلاحظ "عبد القاهر الجرجاني" ت ٤٧١ هـ ما يتميز به التركيب النحوىٰ من خاصية دقيقة تعطيه ثراء وغموضا حين يقول: " واعلم أن ليس النظم أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل علىٰ قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي فهمت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي

(١)ينظر – التناص في شعر سليمان العيسىٰ – نزار عيشىٰ – رسالة ماجستير – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة البعث – ص ١٨ – قسم اللغة العربية ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥ م

(٢)من الآية ٢١ سورة البقرة .

(٣)صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني – ١/ ٤٨ – دار البشائر للنشر والتوزيع – دمشق ١٩٩٢م

رسمت لك فلا تخل بشئ منها، وذلك أنا لا نعلم شيئًا يبتغيه الناظم ينظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجئ به حيث ينبغي له "[1]

أي أن عملية التفاعل النصي لا يغفل فيها المبدع دور العلوم العربية في استقامة اللفظ وسلامة الصورة، من خلال الركون إلىٰ معطياتها المتعددة وذلك الركون الذي يمكن أن يعد نوعًا من أنواع التفاعل العام مع النصوص، حتىٰ لو كانت تلك النصوص قواعد اللغة وقوانينها.

وقول "عبد القاهر" في نظرية النظم هذه شبيه إلىٰ حد كبير قول "رولان بارث" الذي يقول فيه: " ليس لدي فاعل الكتابة أو القراءة ما يقدمه للعناصر (الأثار الفنية والمحفوظات) ما يمكن أن يقدمه محصورا في ميادين النصوص والتلفظات، لأن فاعل الكتابة أو القراءة مقيد بترتيبة كلامية[2].

وقد قرر أحد الباحثين المعاصرين أن "عبد القاهر" قد سبق "بارث" في النظر المقروء والمكتوب، فقال: "تحدث من النص المقروء وميزه من المكتوب فسبق "بارث"، كما تحدث علىٰ فاعلية المتلقىٰ وقدرته علىٰ فهم النص؛ لأنه نظام لغوي له نظام ترتيبي وتأليفي خاص، ودون أن يلغي

(١)دلائل الإعجاز – قرأه وعلق عليه / محمود شاكر – ص ٨١-٨٢ – مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م

(٢)نظرية النص – رولان بارث – ترجمة / محمد خير البقاعي – ص ٤٦ – مجلة العرب والفكر العالمي – بيروت – الأولىٰ ١٩٨٨م

مكانة المنتج ودوره في إبداع نصه، فالمتلقي يستطيع تأويل النص وتفسيره، كما يمكن أن تتعدد مرات التلقي والتأويل ويتغير المتلقي [١]

ويربط "عبد القاهر" نظرية التأويل بتغيير معنىٰ اللفظ الواحد إلىٰ معان كثيرة حسب فهم المتلقي وفي هذا يقول: واعلم أن الفائدة تعظم في هذا الضرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر فيما ذكرت لك من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه عن صورة الىٰ صورة من غير أن تغير من لفظه شيئا، وأن تحول كلمة من مكانها إلىٰ مكان آخر، وهو الذي وسع مجال التأويل والتفسير حتىٰ صاروا يتأولون في الكلام الواحد تأويلين أو أكثر ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير [٢]

ونرىٰ ذلك عند المتأخر "ريفاتير" إذ يتفق في تأويليته هذه في كتبه الأخيرة عن الأسلوبية التي تبنىٰ فيها مفهوم التناص كطبقة من التأويل المرتبط بأفكاره عن الوجوه البلاغية.[٣]

وإذا كانت "كريستفيا" قد عرفت هذه العملية "التناصية" علىٰ أنها " تشرب وتحويل لنص آخر"[٤].

فإنها مسبوقة لهذا بما قاله " ابن خلدون" (ت: ٨٠٨ هـ) في هذا المعنىٰ الذي يقول عنه: " واجتناب الشعر أولىٰ بمن لم يكن له محفوظ ثم الامتلاء

(١)المسيار في النقد الأدبي – حسن جمعة – ص ٤٦ – منشورات اتحاد الكتاب العربي – دمشق ٢٠٠٣ م

(٢)دلائل الإعجاز – ص ٣٧٤

(٣)ينظر " التناصية" مارك أنجينو – ترجمة / أحمد المديني – ص ٧٧ – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – العراق ١٩٨٧م

(٤)علم النص – ص ٧٩

من الحفظ وشحذ القريحة للنسج علىٰ المنوال يقبل علىٰ النظم، وبالإكثار منه تتحكم ملكته وتوشح وربما يقال: إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحىٰ رسومه الحرفية الظاهرة، إذ هي صادرة عن استعمالها بعينها فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتعش الأسلوب فيها كأنه منوال يؤخذ بالنسيج عليه بأمثالها من كلمات أخرىٰ ضرورة(١).

قتتجسد معالم الامتصاص والتحويل من خلال طلب " ابن خلدون" نسيان هذا المحفوظ فتتم بذلك عملية التناص من دون وعي ولا شعور من خلال مخزون شعري حفظه المبدع ثم نسيه ليأتي إليه عفويًا في تجربة جديدة، تمحىٰ فيها الرسوم الحرفية الظاهرة ليحل محلها الأسلوب وطريقة الأداء فتتحول العملية الإبداعية من نص إلىٰ آخر.

فالمبدع ابن بيئته يرثها كلها بثقافتها وعاداتها الاجتماعية والسياسية ويرث اللغة عمن سبقوه ويمر بمرحلة الرواية لمن سبقه حتىٰ تكتمل موهبته فيخرج النص من طور النقد إلىٰ طور الإنشاء من خلال هضمه للموروث الثقافي لمن سبقه، وإخراج نص جديد تتعدد فيه سبل الإشارة إلىٰ القديم إما بالرمز أو الإيحاء أوالتضمين أو الاقتباس وهذا ما قام به الشاعر الجاهلي حين نظم قصائده، فكل مبدع يكتب منطلقا من لغته التي ورثها من سابقيه ومن أسلوبه، وهو شبكة من الاستحواذ اللفظي ذات سمه خاصة شبه شعرية.

والكتابة أو الذوق الكتابي هو شئ يتبناه الكاتب، وهي وظيفة يمنحها الكاتب للغة، إنها ترابط من الأعراف والمؤسسة يمكن لفاعلية الكتابة أن تحدث في نفسها وجودا في داخلها(٢).

---

(١)المقدمة – ص ٥٧٤ – دار إحياء التراث العربىٰ – بيروت – دت.

(٢)الخطيئة والتكفير من البنيوية إلىٰ التشريحية – عبد الله الغذامىٰ – ص ١٢ – ١٣ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الرابعة ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م

من خلال ما سبق يمكن القول: إن ظاهرة التناص قد ظهرت في كتابات النقاد والشعراء العرب منذ الجاهلية والإسلام والعصور التالية استنادا إلىٰ المخزون الثقافي والمعرفي لدىٰ هؤلاء المبدعين.

فكانت نظريات توارد الخواطر، ووقع الحافر موقع الحافر، والتضمين، والاقتباس، وغيرها من المصطلحات التي يمكن أن تعد من باب التناص المباشر(١).

"أما غير المباشر فقد جاء عندهم في مصطلحات المجاز، والتلميح، والتوليد والإيحاء، والكتابة والرمز، وقد يدخل التضمين في بعض صوره(٢).

❁❁❁❁❁

(١)قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني – محمد عبد المطلب – ص ١٥٣ – بيروت – الأولىٰ – دت.

(٢)ينظر – انفتاح النص الروائي – سعد يقطين – المركز الثقافي العربىٰ – ص ٤٣ – الأولىٰ ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

المبحث الثاني: عبد المجيد فرغلي " سيرة وحياة "

أدركت حرفة الأدب الشاعر "عبد المجيد فرغلي" منذ صغره فهو شاعر وكاتب مسرحي وهو درة التاج، وجوهرة العقد، بين شعراء محافظة أسيوط المعاصرين.

يلتف حوله الشعراء في المنتديات الأدبية، يعرفون له قدره ويكنون له كل التقدير والاحترام لابداعه وخلقه، وبذله للحركة الأدبية من وقته وماله.

والشاعر "عبد المجيد فرغلي" من الشعراء البارزين الذين تسلموا راية الشعر من سابقيهم في محافظة أسيوط ومصر، فأعلىٰ من شأنها كما علواهم بها بكل ما تحمله هذه الراية من هموم وآلام وتفاوت علىٰ مستوىٰ الحلم والواقع، وذلك بفضل ما أعطاه الله – ﷻ – من موهبة، كان لزاما عليه أن يسخرها في نفع الناس، وفي إبهار عقولهم بكل جديد ومفيد.

مولده:-

"عبد المجيد فرغلي محمد رفاعي" شاعر مصري معاصر ولد في الرابع عشر من يناير عام ألف وتسعمائة واثنين وثلاثين للميلاد في قرية النخلة مركز أبو تيج محافظة أسيوط بصعيد مصر.

نشأته:-

نشأ الشاعر في بيئة محافظة – مما تتمتع به البيئة الصعيدية – حفظ القرآن الكريم، كما عكف علىٰ دواوين الشعراء يستظهرها ويحفظ نفائسها من أمثال " المتنبي والشريف الرضي وابن الفارض والبوصيري، وشوقي، وغيرهم من شعراء العربية عبر عصورها المختلفة.

ولم يدخر الشاعر جهداً في تحصيل هذه الثقافة الأدبية، فضلا عن الثقافة الدينية والتىٰ تتضح معالمها بجلاء في شعره.

فقرأ كثيرا في السير والمغازي، ويبدو أنه قرأ " البداية و النهاية " لابن كثير، " والسيرة النبوية لابن هشام" ودلائل النبوه للبيهقي والطبقات الكبرىٰ لابن سعد وسيرأعلام النبلاء للذهبي، كما قرأ عن أعلام الصحابة والكتب التي ترجمت لحياتهم وأعمالهم وبطولتهم وتضحياتهم في سبيل نصرة الحق والدعوة الىٰ الله – ﷻ :-

الأمر الذي يمكن أن نلاحظه من خلال قراءة أعماله الأدبية وعلىٰ وجه الخصوص ديوان " دموع تائب"، والذي يضم بين دفتيه تراثا متنوعا يدلك علىٰ منابع ثقافته، كما يدلك علىٰ كثرة مطالعاته في شتىٰ أنواع المعارف قديمها وحديثها.

تعليمه:-

التحق عبد المجيد فرغلي بكتاب القرية وهو في السادسة من عمره كعادة أبناء الريف في طفولتهم، وفي العام نفسه التحق بالمدرسة الابتدائية بقريته وفي عام ١٩٤٤م، أتم حفظ القرآن الكريم، ثم حصل علىٰ كفاءة التعليم عام ١٩٥٢ م، كما حصل علىٰ دبلوم بعثة راقي عام ١٩٦١م، ثم حصل علىٰ ليسانس الحقوق عام ١٩٧٧م.

وظائفه:-

عمل مفتش تحقيقات بالتربية والتعليم من عام ١٩٧٨م حتىٰ عام ١٩٩٢م، كما عمل عميد لنادي أدب "صدقا" التابع لمديرية الثقافة بمحافظة أسيوط ١٩٨٠م، وتم تكريمه في هذا العام، كما تم تكريمه في

مؤتمر ذكرىٰ الشاعر " محمود حسن إسماعيل" وحصل علىٰ شهادة تقدير وميدالية برونزية عام ١٩٩٦م، كما كرمته كلية الحقوق – جامعة أسيوط في العام نفسه وحصل علىٰ درع الكلية.

كما تم تكريمه في مؤتمر المنيا في مدرج كلية الآداب في ابريل عام ٢٠٠١م ضمن خمس أدباء من محافظتي المنيا وأسيوط.

نتاجه الشعري:-

لاريب في أن الشاعر "عبد المجيد فرغلي" غزير الشاعرية مما جعل نتاجه متنوعا بين الدواوين الشعرية، والملاحم الشعرية، والمسرحية الشعرية، والمعارضات الشعرية، فمن دواوينه الشعرية.

١ – ديوان "يقظة من رقاد"عام ١٩٥٥م وهذا الديوان مودع بدار الكتب تحت رقم ١٠٩٤١ عام ٢٠٠٦م.

٢ – ديوان " العملاق الثائر" عام ١٩٥٩م وهذا الديوان مودع بدار الكتب تحت رقم ١٣٣٩٦ / ٢٠٠٦ م

٣ – ديوان " أشواق" عام ٢٠٠٠م وهذا الديون مودع بدار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ١٠٧٠٥ عام ٢٠٠٦م.

٤ – ديوان " عودة إلىٰ الله" مودع في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ١٠٩٤٠ عام ٢٠٠٦م.

٥ – ديوان " مسافرمن أجل عينين" مودع في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ١٠٩٤٦ عام ٢٠٠٦م.

٦ – ديوان " علىٰ برج الخيال " مودع في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ٣٥٩٢ عام ٢٠٠٧م.

٧ – ديوان " درة في اللهب" مودع في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ٣٥٩٢ عام ٢٠٠٧م.

٨ – ديوان " محمد الدرة رمز الفدا" مودع في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ٥٦٥٢ عام ٢٠٠٧م.

٩ – ديوان " عاشقة القمر" مودع في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ٥٦٥٣ عام ٢٠٠٧م.

١٠ – ديوان " رسائل الأشواق" مودع في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ٥٦٥٤ عام ٢٠٠٨م.

١١ – ديوان " من وحي الطبيعة" مودع في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ٥٦٥٤ عام ٢٠٠٨م.

١٢ – ديوان " عبير الذكريات" مودع في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ٥٦٤٦ عام ٢٠٠٨م.

١٣ – ديوان " في رحاب الرضوان" مودع في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ٥٦٤٧ عام ٢٠٠٨م.

١٤ – ديوان " أكتوبر رمز العبور" مودع في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ٥٦٤٨ عام ٢٠٠٨م.

١٥ – ديوان " دموع تائب" طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠١٢م.

أما ملاحمه الشعرية فهي:-

١ – ملحمة "الخليل إبراهيم" في أربعة عشر جزءاً، مودعة في دار الكتب والوثائق العلمية عام ٢٠٠٦م.

٢ – ملحمة "السيرة الهلالية" في تسعة أجزاء مودع في دار الكتب والوثائق العلمية عام ٢٠٠٦م.

٣ – ملحمة "نداء القدس" مودعة في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ٥٦٤٩ عام ٢٠٠٨م.

٤ – ملحمة "من أبطال الإسلام خلفاء وقادة" مودعة في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ٥٦٤٩ عام ٢٠٠٨م.

أما مسرحياته الشعرية فهي كالتالي:-

١ – مسرحية "رابعة العدوية" مودعة في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ١٠٩٤٤ عام ٢٠٠٦م.

٢ – مسرحية " العروبة وعودة فلسطين" مودعة في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ٣٥٩٤ عام ٢٠٠٧م.

٣ – مسرحية " شروق الأندلس" مودعة في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ٥٦٥٥ عام ٢٠٠٧ م.

المطارحات والمعارضات الشعرية:-

١ – القصائد العذرية في المعارضات الشعرية، مودعة في دار الكتب والوثائق العلمية تحت رقم ٨٨٩٩ عام ٢٠٠٦م. عارض فيها امرئ القيس والمتنبي وابن الرومي وابن الفارض والبوصيري وأحمد شوقي ومحمود حسن إسماعيل.

٢ – المطارحات الشعرية بين التراث والمعاصرة بين الشاعر "عبد المجيد فرغلي"، والشاعر "أبي نواس" في ثلاثة أجزاء.

نشر الشاعر بعضا من نتاجه الشعرى في المجلات المصرية والعربية ومنها:-

١ – المجلة العربية السعودية عام ١٩٨٧م

٢ – مجلة أخبار الأدب عام ١٩٩٤م

٣ – مجلة واحة الإبداع عام ٢٠٠١ م

٤ – مجلة الأزهر عام ٢٠٠٢ م

٥ – مجلة أخبار أسيوط عام ٢٠٠٢ م[١]

❁❁❁❁❁

(١)رحالة الشعر العربي عبد المجيد فرغلي " سيرة ومسيرة " / عماد الدين عبد المجيد – تقديم د/ حميده قادوم – موسسة بسطرون للطباعة والنشر والتوزيع – قسنطينة – الجزائر – السادسة عام ٢٠٢٠م

المبحث الثالث

التناص في شعر عبد المجيد فرغلي ديوان "عودة إلى الله أنموذجا"

أولاً: - التناص مع القرآن الكريم

القرآن الكريم كلام الله المعجز الذي مثل مصدرا إعجازيا تحدىٰ به فصحاء العرب وبلغاءهم، فقد أحدث ثورة فنية علىٰ معظم التعابير التي ابتدعها العربي شعراً ونثراً.

والقرآن الكريم أحد أهم مظاهر التناص عند كثير من الشعراء، إذ تشكلت من خلاله رؤاهم وأفكارهم وذلك لأن " التناص القرآني" يجعل الشاعر يميل بلغته الشعرية صوب أفاق التحليق بواسطة الإشارة والايحاء، فالإشارة القرآنية تغني النص الشعري وتكسبه كثافته التعبيرية، وتعطيه تطابقًا بين وظيفة الإشارة وسياق المعنىٰ(١).

وللتناص مع القرآن الكريم شروط لابد من مراعتها وذلك لأن "القرآن الكريم نزل باللفظ والمعنىٰ، ولأنه معجز بنصه وبيانه، فيترتب علىٰ ذلك مراعاة كل الوسائل والأساليب التي تؤدي إلىٰ المحافظة عليه وحمايته من أي تحريف أو تبديل أو خطأ في الفهم أو التأويل، ومن ذلك: الالتزام بمعنىٰ اللفظ القرآني حسب السياق الذي ورد فيه، فلا نعزله عن سياقه ونتلمس له دلالات ومعاني أخرىٰ يتسع لها إذا كان مفردا مستقلا، وإنما يتحتم إذا قبسنا أحد ألفاظ الكتاب العزيز أن نحافظ علىٰ دلالته المناسبة لموضعه من الآية والسور، وأن نورده في موقف مشابه وموافق لتلك الدلاله. (٢)

---

(١)الصوفية في الشعر العربي المعاصر – محمد بن عمارة – ص ١٠ – ط/ شركة النشر والتوزيع – المغرب – الأولىٰ ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

(٢)استلهام القرآن الكريم في شعر أمل دنقل – د/ إخلاص فخري عمارة – ص ٢٩ – دار الأمين – القاهرة – الأولىٰ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

ونقف الآن مع الشاعر "عبد المجيد فرغلي" في قصيدة له تحت عنوان "جريمة العصر" فنجده يتناص مع قصة " أبرهة وأصحاب الفيل" فيقول(١):

ومن قبل أبرهة قد عدا ... بجيش غزا فارتمىٰ واضطرب
رمته مسومة باللظىٰ ... بطير أبابيل تلقىٰ الحصب
مضىٰ كيد أبرهة خائبا ... بسهم المنية لا بالحرب

فالشاعر في هذه الأبيات يتناص مع قصة " أصحاب الفيل" التي وردت في قوله ﷻ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾ (٢).

فالشاعر يتحدث عن قصة أصحاب الفيل، حيث قصدوا هدم الكعبة المشرفة فرد الله كيدهم في نحورهم، وحمىٰ بيته من تسلطهم وطغيانهم وأرسل علي جيش أبرهة الأشرم وجنوده أضعف مخلوقاته، وهي الطير التي تحمل في أرجلها ومناقيرها حجارة صغيرة ولكنها أشد فتكًا وتدميرا من الرصاصات القاتلة، حتىٰ أهلكهم الله وأبادهم عن أخرهم، وكان ذلك الحدث التاريخي الهام في عام ميلاد سيد الكون محمد بن عبد الله ﷺ سنة سبعين وخمس مائة للميلاد وكان من أعظم الإرهاصات الدالة علىٰ صدق نبوته ﷺ(٣).

---

(١)ديوان عودة إلىٰ الله – ص ١٤٠ .

(٢)سورة الفيل .

(٣)صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني – ٣/ ٤٤٠ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الثانية – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م

وفي قصيدة له بعنوان " دمعة وفاء" نجد الشاعر يتناص مع قصة سيدنا موسىٰ -عليه السلام- مع سيدنا الخضر -عليه السلام- فيقول:

بـل كنـت كالخضـر الماشـي وحلتـه

موسـىٰ يصـاحبه للعلـم عرفانـا

لاقـاه في مجمـع البحـرين إذ جنحـت

سـفينة الحـوت تغشـىٰ البـر إتيانـا

وكـان قـد بلـغ الإعيـاء مبلغـه

مـن جهـده وفتـاه لـج نسـيانا

فقـال إني نسـيت الحـوت فانطلقـت

منـه الزعـانف نحـو البحـر غشـيانا

مـن صـخرة إذ أوينـا فـوق ربوتهـا

وانسـاب مـن مكتـل الأيـام ظمانـا

فتلـك موعـده اللقبـا يصـاحبه

يمضـي علـىٰ أثـر أولاه كتمانـا (١)

ففي هذه الأبيات يتناص مع قصة سيدنا موسىٰ -عليه السلام- مع سيدنا الخضر -عليه السلام- والتىٰ وردت في قوله تعالىٰ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ

(١)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ١٢١

أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾.(١)

وفي قوله:-

ألـــم يقـــل لـــو أنزلنـــاه علـــىٰ جبـــل

لخـــر مصـــدعا ذكـــرا تحـــدانا (٢)

نجده يتناص مع قولة تعالىٰ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾. (٣)

أي لو خلقنا في الجبل عقلاً وتميزا كما خلقنا الإنسان، وأنزلنا عليه القرآن الكريم بوعده ووعيده لخشع وخضع وتشقق، خوفًا من الله – ﷻ – ومهابة له. وهذا التصوير لعظمة قدر القرآن الكريم وقوة تأثيره وأنه بحيث لو خوطب به جبل – علىٰ شدته وصلابته – لرأيته ذليلاً متصدعًا من خشية الله.

وفيه أيضًا توبيخ للإنسان بأنه لا يخشع عند تلاوة القرآن الكريم بل يعرض عما فيه من عجائب وعظائم ففيه بيان لعظمة القرآن ودناءة حال الإنسان.

(١)(٤) سورة الكهف (٦٠ – ٦٤)

(٢)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ١٢٦

(٣)سورة الحشر – رقم ٢٠

وفي قوله:-

غـــافر الـــذنب قابـــل التـــوب ربـــي

لـــك منـــي علـــىٰ النقـــاء لقـــاء [1]

في هذا البيت نجد الشاعر يتناص مع قوله تعالىٰ: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ ﴾[2].

وفي هذا إشادة بصفات المولىٰ – ﷻ وآياته العظمىٰ وأنه وحده الذي يعفو عن ذنوب العباد ويقبل توبة العصاة لمن تاب منهم وأناب، وفي الوقت نفسه شديد العقاب لمن تكبر وطغىٰ وأعرض عن طاعة المولىٰ – ﷻ–، صاحب الفضل والإنعام ولا معبود بحق غيره وقدم المغفرة والتوبة علىٰ العقاب للإشارة الىٰ سعة الفضل وأن رحمته سبقت عذابه.

وفي قوله:-

والـــروح مـــن أمـــر ربـــي لـــيس يعلمهـــا

إلا الـــذي مـــن تـــراب صـــاغ إنســـانا [3]

في هذا البيت نجد الشاعر يتناص مع قول الحق – تبارك وتعالىٰ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [4]

(١)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ١١٧

(٢)سورة غافر – رقم ٣

(٣)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ١٢٠

(٤)سورة الاسراء – الآية ٨٥

يذكر "الطبري" في سبب نزول هذه الآية، عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح، فأنزل الله – ﷻ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ....﴾ الآية "(١)

أي يسألك يا محمد الكفار عن الروح ما هي؟ وما حقيقتها؟ فقل لهم: إنها من الأسرار الخفية التىٰ لا يعلمها إلا رب البرية، وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلا شيئًا قليلاً لأن علمكم قليل بالنظر إلىٰ علم الله – ﷻ –.

وفي قوله:–

يـــوم أســـرىٰ بعبـــده الله لـــيلاً

وأتيحـــــت مكانـــــة شـــــماء

لـــم ينلهـــا قبـــل النبـــي نبـــىٰ

لا ولا جـــاز قبلهـــا الأنبيـــاء

رحلـــة للســـماء طـــوف فيهـــا

في مـــدىٰ ليلـــة لهـــا أصـــداء (٢)

في هذه الأبيات يستدعىٰ الشاعر إلىٰ أذهاننا قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (٣)

(١)صفوة التفاسير – ٢/ ١١٧

(٢)ديوان / دعوة إلىٰ الله – ص ٦٧

(٣)سورة الإسراء – الآية ١

ويتحدث عن معجزة الإسراء التي كانت مظهرا من مظاهر التكريم الإلهىٰ لخاتم الأنبياء والمرسلين وأية باهرة تدل علىٰ قدرة المولىٰ – ﷻ – في صنع العجائب والغرائب.

وفي قوله:-

ومـــن يـــرد البيـــت يومـــا بظلـــم

بإلحـــاده فيـــه يلـــق العطـــب (١)

نجده يتناص مع قول الحق – تبارك وتعالىٰ- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾(٢)

أي الذين جحدوا بما جاء به محمد ﷺ ويمنعون المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام لأداء المناسك وكان ذلك عام " الحديبية" حين صدر منع المشركين رسول الله ﷺ ومن معه من دخول المسجد الحرام الذي جعلناه منسكًا ومتعبدا للناس جميعًا سواء فيه المقيم والحاضر، والذي يأتيه الناس من خارج البلاد ومن يرد فيه سوءا أو ميلا عن القصد أو يهم فيه بمعصية نذقه أشد أنواع العذاب الموجع.

(١)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ١٤٠

(٢)سورة الحج – الآية ٢٥

وفي قوله:-

روضـــة الأنـــس للمحـــب بحـــب

جبـــل قاعـــه نســـيم رخـــاء

جـــاءه فيـــه بـــالهزيع أمـــين

لأمـــين الـــذي زكـــت أرجـــاء

قـــال اقـــرأ وضـــم جبريـــل صـــدرا

أشـــرقت منـــه بـــالرؤىٰ الأجـــواء

قـــال أنـــت المبعـــوث مـــن بعـــد عيســـىٰ

والنبيـــون قبلـــه شـــهداء (١)

نجد يتناص مع قول الحق – ﷻ -: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾.(٢)

وهذه الآيات هي أول ما نزل من القرآن الكريم كما ثبت في الصحاح أن النبي – ﷺ – نزل عليه الملك وهو يتعبد بغار حراء فقال: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ..... الخ "(٣)

وهذا أول خطاب إلهي وجه إلىٰ النبي ﷺ وفيه دعوة إلىٰ القراءة والكتابة والعلم لأنه شعار دين الإسلام. أي اقرأ يا محمد القرآن مبتدئًا ومستعينًا باسم ربك الجليل الذي خلق جميع المخلوقات وأوجد جميع العوالم، ثم

(١)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ٨٦

(٢)سورة العلق – الآية ١ – ٥

(٣)أخرجه الشيخان عن عائشة – رضىٰ الله عنها

فسر الخلق تفخيمـًا لشأن الإنسان فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ أي خلق هذا الإنسان البديع الشكل الذي هو أشرف المخلوقات من العلقة.

قال "القرطبىٰ "- خص الإنسان بالذكر تشريفـًا له والعلقة قطعه من دم رطب سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه [1].

﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾. أي اقرأ وربك العظيم الكريم الذي لا يساويه ولا يدانيه كريم، وقد دل علىٰ كمال كرمه أنه علم العباد مالم يعلموا، ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾.. أي الذي علم الكتابة والخط والقلم وعلم البشر مالم يكونوا يعرفونه من العلوم والمعارف فنقلهم من ظلمة الجهل إلىٰ نور العلم.

وفي قوله:-

جـــاء عيســـىٰ مبشـــرا برســـول

بعـــده ســـار باســـمه البشـــراء

يارســـولا ويـــا نبيـــا أتانـــا

كامـــل النـــور والســـجايا وضـــاء [2]

نجده يتناص مع قوله تعالىٰ:﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [3].

(١)تفسير القرطبىٰ – ١٩ / ١١٩

(٢)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ٣٨

(٣)سورة الصف – الآية ٦

أي " واذكر يا محمد لقومك هذه القصة أيضا حين قال عيسىٰ – عليه السلام – لبني إسرائيل إني رسول الله أرسلت إليكم بالوصف المذكور في التوارة مصدقًا ومعترفًا بأحكام التوارة وكتب الله وأنبيائه جميعًا ولم أتكلم بشئ يخالف التوارة حتىٰ تنفروا مني وجئت لأبشركم ببعثة رسول يأتي بعدي يسمىٰ أحمد "[١].

وفي قوله:-

مـــن لـــرب الأنـــام خـــاف مقامـــا

فلـــه الخلـــق جنتـــان الجـــزاء [٢]

نجده يتناص مع قوله تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[٣].

أي وللعبد الذي يخاف قيامه بين يدي ربه للحساب جنتان: جنة لسكنه وجنة لأزواجه وخدمه، كما هي حال ملوك الدنيا حيث يكون له قصر ولأزواجه قصر[٤].

وفي قوله:-

ألـــم يكـــن خلـــق الإنســـان مـــن عجـــل

والنســـل مـــن علـــق بـــالروح أحيانـــا ؟ [٥]

نجده يتناص مع قوله تعالىٰ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾

(١)صفوة التفاسير – ٣/ ٢٦٣

(٢)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ١٠٨

(٣)سورة الرحمن – الآية ٤٦

(٤)صفوة التفاسير – ٣ / ٢١٢

(٥)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ١٤

أي ركب الإنسان علىٰ العجلة فخلق عجولا يستعجل كثيراً من الأشياء وإن كانت مضرة، قال ابن كثير: " والحكمة من ذكر عجلة الإنسان هنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول – ﷺ – وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلوا ذلك ولهذا قال: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ أي سأوريكم انتقامي واقتداري علىٰ من عصاني فلا تتعجلوا الأمر قبل أوانه "[1].

وفي قوله:-

يـــوم تـــذهال كـــل مرضـــعة عمـــ

ـــا يكـــون انســـياب دريشـــاء [2]

نجده يتناص مع قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [سورة الحج:٢][3].

فهذا خطاب لجميع البشر أن يخافوا عذاب الله ويطيعوه بامتثال أمره واجتناب نواهيه ويحذروا ذلك اليوم العصيب الذي تشاهدون فيه تلك الزلزلة، وترون هول مطلعها وتغفل وتذهل – مع الدهشة وشدة الفزع – كل أنثىٰ مرضعة عن رضيعها، وتنشغل لهول ما ترىٰ عن أحب الناس إليها وهو طفلها الرضيع، وترىٰ الناس كأنهم سكارىٰ " يترنحون ترنح السكران " من هول ما يدركهم من الخوف والفزع، وما هم علىٰ الحقيقة بسكارىٰ

(١)مختصر تفسير ابن كثير – ٢/ ٥٠٨

(٢)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ١٠٨

(٣)سورة الحج – الآية ٢

من الخمر، ولكن أهوال الساعة وشدائدها أطارت عقولهم وسلبت أفكارهم فهم من خوف عذاب الله مشفقون"(١)

وفي قوله:-

لـــه رحمـــة وســـعت كـــل شـــيء

لأهـــل الهـــدىٰ لا الـــردىٰ قـــد كتـــب (٢)

نجده يتناص مع قول الحق – تبارك وتعالىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ (٣).

وهذا من جملة دعاء موسىٰ – عليه السلام – أي حقق وأثبت لنا في الدنيا حسنة وفي الأخرة حسنة إنا تبنا ورجعنا إليك من جميع ذنوبنا قال تعالىٰ: " أما عذابي فأصيب به من أشاء من عبادي وأما رحمتي فقد عمت خلقي كلهم وفي نسبة الإصابة إلىٰ العذاب بصيغة المضارع، ونسبة السعة إلىٰ الرحمة بصيغة الماضي إيذان بأن الرحمة مقتضىٰ الذات، وأما العذاب فبمقتضىٰ معاصي العباد، وسوف أجعل هذه الرحمة خاصة في الآخرة للذين يتقون الكفر والمعاصي ويعطون زكاة أموالهم ويصدقون بجميع الكتب والأنبياء (٤).

❁❁❁❁❁

(١)صفوة التفاسير ٢ / ١٩٢

(٢)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ١٤١

(٣)سورة الأعراف – الآية ١٥٦

(٤)صفوة التفاسير – ١ / ٣٢٥

ثانيا– التناص مع الحديث الشريف

يعد الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وهو كذلك من المصادر التي عكف الشعراء المحدثون في هذا العصر علىٰ الانتقاء منها، كما حدث مع المصدر الأول المتمثل في القرآن الكريم، فلم يغفلوا هذا المنهل، ولم يكونوا بمنأىٰ عنه، من خلال توظيف أحاديث الرسول ﷺ والتفاعل معها، وذلك راجع إلىٰ ارتباط الشعراء بروح الدين الإسلامي فتأسوا بأقوال وأفعال رسولنا الكريم ﷺ.

فتناصوا مع هذه النصوص النبوية، ونوعوا من توظيفها في أغراضهم المختلفة ليؤكدوا علىٰ مضمون قصائدهم ومغزاها، من خلال التعرض لها من زاوية القدوة الحسنة ألا وهو رسولنا الكريم ﷺ وإلقاء الضوء علىٰ أحاديثه التي فيها كثيرا من الدلالات والمعاني السمحة والبشريات التىٰ تثلج قلوب كثير من المسلمين.

والشاعر "عبد المجيد فرغلي" أحد هؤلاء الشعراء الذي تناص مع بعض أحاديث الرسول – ﷺ – ومن الأمثلة علىٰ ذلك قوله:-

نشـــــرت فيـــــه بابتنـــــاء لقصـــــر

قصـــــبا مـــــن نضـــــار تبـــــر يجـــــاء

جـــاء يســـعىٰ جبريـــل وهـــو حفـــي

لنبـــــي يقـــــول جـــــل العطـــــاء

ســـكنت قصـــرها خديجـــة مثـــوىٰ

في ربـــا الخلـــد كرمتهـــا الســـماء

بالـــــذي قدمتـــــه نالـــــت جـــــزاء

لـــــيس يحصـــــىٰ جـــــواره الألاء [1]

(١)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ٦٢

في هذه الأبيات يتناص مع حديث الرسول ﷺ الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: " أتاني جبريل فقال: يارسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي قد أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيها ولا نصب "(١).

وفي الحديث بيان لبعض فضائلها ومكانتها، لأنها أول من بنىٰ بيتا في الإسلام وذلك بتزويجها من سيد الأنام فكانت ربة أول بيت في الاسلام.

والمراد بالقصب هنا: اللؤلؤ المجوف الواسع كالقصر المنيف ولا صخب فيه أي لا يكون فيه ضجة ولا صياح ولا نصب أي لا مشقة ولا عناء ولا تعب.

وفي هذا إخبار أن قصور الجنة خالية عن مثل أفات الدنيا، فأهل الجنة في سلام وأمان كما وصفهم المولىٰ – ﷻ – في قوله: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾.(٢).

والذي يربط بين الأبيات والحديث الشريف تلك الفضيلة العظيمة والمنقبة الجليلة لأم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – لأن النبي ﷺ حين دعاها للإسلام أجابت طوعًا ولم توجه إلىٰ صخب ولا نصب يرفع صوت ولا منازعة في ذلك فناسب أن يكون بيتها في الجنة علىٰ الصفة المقابلة لفعلها.

(١)أخرجة البخاري رقم ٣٨٢٠ ومسلم رقم ٢٤٣٢ وصحيح الجامع ٦٩ الألباني – حكم الحديث صحيح .

(٢)سورة يس – الآية ٥٦ – ٥٨

وفي قوله:-

دعـــوة أنـــت للخليـــل وبشـــرىٰ

جـــاء عيســـىٰ بهـــا ورؤيـــا تشـــاء

قـــد رأتهـــا مـــن أنجبتـــك ضـــياء

مـــلأ الخـــافقين منهـــا أضـــواء (١)

في هذين البيتين تناص مع الحديث الشريف الذىٰ رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والأرنؤوط عن خالد بن سعدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يارسول الله أخبرنا عن نفسك ؟ فقال: أنا دعوة أبي أبراهيم، وبشرىٰ عيسىٰ، ورأت أميحين حملت بي أنه خرج منها نورا أضاءت له بصرىٰ، وبصرىٰ من أرض الشام. "

لقد أخبرنا الله – ﷻ – أن خليل الرحمن إبراهيم – عليه السلام – وابنه إسماعيل كانا يبنيان البيت الحرام ويدعوان ومن دعائهما ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ (٢).

وقد استجاب الله – ﷻ – دعاءهما فكان محمد ﷺ هو تأويل تلك الاستجابة.

وأما عيسىٰ – عليه السلام – فقد كان كما أخبر القرآن الكريم عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ

(١)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ٣٨

(٢)سورة البقرة – الآية ١٢٧

ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾ (١)

فبعثة النبي - ﷺ - وحياته وأخلاقه تقوم علىٰ صفة إلهية حكيمة وتخطيط إلهي محكم، يتناسب مع أداء هذه الشخصية في الحياة حتىٰ تؤدي دورها في نقل البشرية نقلة جديدة حقيقية، ويعود ذلك إلىٰ طبيعة الرسالة الخاتمة والطبيعة البشرية التي حافظت عليها الشخصية المحمدية في تكوينها وأحداثها وطبيعة التميز الإنساني الخالص التي أفرزته الدعوة وجسدته الحضارة الإنسانية.

وفي قوله:-

ورعـــىٰ العـــيس في مســـارج قـــوم

في قـــراريط مـــن زويـــه أفـــاءوا

وكثيـــرا مـــا قـــال مـــا مـــن نبـــي

جـاء قبلـي إلا روعـي منـه شـاءو (٢)

تناص مع قول الرسول ﷺ الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – أنه ﷺ قال: " ما بعث الله نبيًا إلا رعىٰ الغنم، فقال أصحابه: وأنت ؟ قال نعم كنت أرعاها علىٰ قراريط لأهل مكة "(٣).

(١)سورة الصف – الآية ٦

(٢)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ٥٦

(٣)رواه البخاري

فالخلطة أفضل للمسلم إذا اقتضت المصلحة ذلك كما قال ﷺ:" المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر علىٰ أذاهم، خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر علىٰ أذاهم".

وإنما تكون البادية والعزلة عند الحاجة والضرورة وكون النبىٰ ﷺ رعىٰ الغنم والأنبياء رعوا الغنم إنما هذه للمصلحة مثلما يخرج الإنسان لحاجاته من السفر وحاجاته مع إبله وغنمه، ويرجع.

فالعزلة تكون عند الحاجة كما في قوله ﷺ لما سئل أي الناس أفضل، قال: مؤمن مجاهد في سبيل الله، قبل: ثم أي ؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره ".

فالخلطة إن كان فيها خوف وخطر علىٰ دينه من وجوده في المجتمع الفاسد، فالأفضل له أن يعتزل في شعب من الشعاب يعبد الله – ﷻ – ويدع الناس من شره.

أما إذا كانت خلتطه تنفع الناس وتعلمهم وتوجههم إلىٰ الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فالخلطة أفضل من العزلة.

فالذي يخالط الناس ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويذكرهم أفضل، وإنما تستحب العزلة عند الحاجة والخوف علىٰ الدين ووجود المضرة في الاختلاط.

وفي قوله:-

ولــك الحــوض يرتــوي الخلــق منــه

(عـــدن) بـــدؤه (لُإيليـــا) انتهـــاء

مـــن ينـــل منـــه شـــربة لـــيس يظمـــا

ونفـــوس الـــورىٰ إليـــك ظمـــاء (١)

تناص مع حديث الرسول ﷺ الذي رواه سعيد بن أبي مريم قال: حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو قال النبي ﷺ: " حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبدا. " (٢)

فالحوض مجمع ماؤه عظيم يرده المؤمنون في عرصات القيامة وهو من فضل الله – ﷻ – الذي أعطاه لنبيه ﷺ زيادة في إكرامه ولطفه به وبأمته.

وفي الحديث يبين الرسول ﷺ سعة هذا الحوض وعظمته فيقول: حوضي سعة مسيرة شهر يعني مقدار ما يسير المسافر شهرا كاملاً وهو كما أشار إليه الشاعر في قوله: عدن بدؤه لإيليا انتها. وماؤه أشد بياضًا من اللبن وريحه أحلىٰ رائحة وأجمل طيبا من رائحة المسك، وهو من أفضل أنواع العطور وكيزانه وهي الأكواب الموضوعة علىٰ جانبه – عدد نجوم السماء، وهذا بيان لكثرتها، من شرب من هذا الحوض فإنه يشعر بالري الأبدىٰ فينقطع عنه الظمأ إلىٰ الأبد.

وفي الحديث إخباره ﷺ عن الغيب وهو من علامات النبوة.

---

(١)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ١١٠

(٢)رواه مسلم في الفضائل – باب إثبات حوض نبينا وصفاته رقم ٢٢٩٧ والبخارىٰ رقم ٦٥٩٧ وحكمه صحيح .

وفي قوله:-

وعـــــج لســـــــاني بتســـــــبيحه

لـــــرب الجـــــلال الســـــميع الـــــدعاء

شـــــهر تفـــــتح فيـــــه الجنـــــان

وتغلـــــق أبـــــواب دار الشـــــقاء

فســـــبحت ربـــــي بـــــدفع المتـــــاب

رجـــاء الثـــواب وحســـن الجـــزاء [1]

تناص مع قوله ﷺ عن شهر رمضان في الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النيران فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة ". [2]

إن شهر رمضان شهر مغنم وأرباح والتاجر الحاذق يغتنم المواسم ليزيد من أرباحه فيجب علينا أن نغتنم هذا الشهر بالعبادة وكثرة الصلاة وقراءة القرآن الكريم والعفو عن الناس والإحسان إلىٰ الغير والتصدق علىٰ الفقراء.

والمؤمن الصادق كل الشهور عنده مواسم للطاعات، ولكنه في شهر رمضان تتضاعف همته للخير وينشط قلبه للعبادات أكثر فيقبل علىٰ الله – ﷻ – الذي تفضل علىٰ عباده المؤمنين الصائمين بمضاعفة المثوبة وجزيل العطاء والمكافئة علىٰ صالح الأعمال.

❁❁❁❁❁

(١)ديوان / دعودة إلىٰ الله – ص ١٤٢

(٢)رواه الترمذي وصححة الألباني

ثالثا – التناص مع السيرة النبوية

والسيرة النبوية هي ماتم تدوينه ونقله للعصور المتلاحقة حول حياة الرسول ﷺ وما شهدتها من أحداث حتىٰ وفاته.

وهي الوسيلة الوحيدة: للتعرف علىٰ حياة الرسول ﷺ عن قرب واستيعاب أبعاد شخصيته من خلال التفاصيل الواردة فيها.

وتساعد المسلم علىٰ استيعاب القرآن الكريم وفهمه، وذلك من خلال ارتباط معظم الأيات الكريمة بأحداث مرت في حياة الرسول ﷺ.

وتعد أنموذجا فعالا لتنشئة المسلم تنشئة سليمة وتعليمه أحكام الإسلام فيتخذ من الرسول – ﷺ خير معلم ومؤدب وتمنح المسلم القدرة علىٰ فهم العقيدة الإسلامية واستيعاب القرآن الكريم وفهم أحداثه.

وتبدأ السيرة النبوية من لحظة ولادته ﷺ في الثانىٰ عشر من ربيع الأول عام ٥٧١ م مرورا بتفاصيل وأحداث ثلاثة وستين عاما حتىٰ وفاته ﷺ في السنه الحادية عشرة للهجرة النبوية.

وقد تناص الشاعر "عبد المجيد فرغلي" مع بعض أحداث السيرة النبوية وذلك علىٰ النحو الآتي:

اولا – حادثة شق صدره الشريف:

وذلك في قوله: –

يـــوم أن جـــاءه رســـولا ســـماء

أضـــجعاه وشـــق منـــه غشـــاء

يـــوم أن أخرجـــا مـــن الصـــدر قلبـــا

شـــق عـــن جوفـــه وؤد النقـــاء

ورأىٰ كيـــف فـــر فتيـــة حـــي

ســـبقوا الـــريح واعتـــراهم بكـــاء؟

ورأتـــــه " حليمـــــة " وهـــــو آت

ســـالم القلـــب مـــا اعتـــراه بـــلاء

قـــــال يـــــاأم لا تراعـــــي فـــــإني

ســـــاورتني ولا أصـــــاب اســـــتياء

أضـــــــــجعاني ومـــــــــا أرادا أذاة

مـــن أذىٰ الغـــل والنقـــاء الـــدواء (١)

فالشاعر يتناص مع ما جاءت به كتب اليسرة النبوية من حادثة شق صدره الشريف في أثناء رضاعه في ديار بني سعد عند " حليمة السعدية ".

فذكر ابن اسحاق قال: " حدثني ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم لا أحسبه إلا خالد بن معدان الكلاعي. أن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يارسول الله أخبرنا عن نفسك؟ قال: نعم. أنا دعوة إبراهيم وبشرىٰ أخي عيسىٰ ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نورا أضاء لها قصور الشام. واسترضعت في بني سعد بن بكر. فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعىٰ بهمالنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءه ثلجا. ثم أخذاني فشقا بطني. واستخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سواداء فطرحاها ثم غسل قلبي وبطني بذلك الثلج حتىٰ أنقياه ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم. ثم قال: زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم. ثم قال: زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم فقال: دعه عنك فوالله لو وزنته بأمته لوزنها " (٢).

(١)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ٥٩

(٢)السيرة النبوية – ابن هشام – ت/ طه عبد الرؤوف سعد – ١/ ١٢٩ ط/ دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسي الحلبي – دت.

وذلك عند شق صدره للمرة الأولىٰ في زمن الطفولة لينشأ علىٰ أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان. ثم عند المبعث زيادة في الكرامة ليتلقي ما يلقىٰ إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير. ثم وقع عند ليلة المعراج إلىٰ السماء ليتأهب للمناجاة.

ثانيا- حادثة وضع الحجر الأسود في مكانه عند الكعبة:

وذلك في قوله:-

وجمعـــوا فيـــه للبنـــاء جهـــودا
لـــم تفـــرق جموعهـــا الأهـــواء
جمعـــوا وحـــدة القبائـــل فيـــه
وعلـــىٰ حـــين غفلـــة شـــب داء
شـــب داء الشـــقاق يشـــعل نـــارا
أو شـــكت فيـــه ترتمـــي الأشـــلاء
مـــن لـــه الحـــق أن يصـــير إليـــه
شـــرف الوضـــع أو يكـــون اللـــواء
وإذا القـــوم بـــين لـــين وشـــد
ومـــن الظـــافر ارتضـــام إدعـــاء
وإذا قائـــل يقـــول رويـــدا
يحكـــم الأمـــر بيننـــا مقضـــاء
وإذا القـــادم الأمـــين إلـــيهم
ولـــه بيـــنهم مكـــان مضـــاء
قيـــل أنـــت الـــذي رضـــيناك فينـــا
حكمـــا فـــاقض منـــك نعـــم القضـــاء

قـــال يـــاقوم أنـــتم الأهـــل منـــي

وبنـــو الـــود في الهـــدىٰ أعضـــاء

ألـــديكم مـــن النســـيج رداء

ثـــم هـــاتوه وهـــو مـــنكم ســـواء

جـــيء بـــالثوب بيـــنهم فرشـــوه

حجـــر البيـــت قـــد حـــواه الـــرداء

ودعـــا كـــل قبيلـــة منهـــم

ممســـكا جانبـــا وحـــد المضـــاء

ذهـــب الخلـــف بيـــنهم وســـرىٰ الـــو

د ومـــن حولـــه التقـــت آراء (١)

فنجد الشاعر في هذه الأبيات يتناص مع ما جاءت به كتب السيرة النبوية في واقعة وضع الحجر الأسود في مكانه في أثناء بناء الكعبة، واختلاف قريش بينها حول من يضع الحجر الأسود، وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ فذكر " ابن اسحاق أن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع علىٰ حده ثم بنوها حتىٰ بلغ البنيان موضع الركن فأختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلىٰ موضعه دون الأخرىٰ حتىٰ تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال،..... فقال أبو " أمية بن المغيرة " وكان أسد قريش كلها، فقال يا معشر قريش أجعلوا بينكم – فيما تختلفون فيه – أول من يدخل من باب المسجد يقضي بينكم، ففعلوا.

(١)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ٨٣: ٨٤

فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا هذا محمد، فلما انتهىٰ إليهم وأخبروه الخبر قال: ﷺ هلم إليّ ثوبًا فأتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعًا، ففعلوا حتىٰ إذا بلغوا موضعه، وضعه بيده ثم بنىٰ عليه، وكانت قريش تسمىٰ رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين" (١)

ثالثًا:- قصة ورقة بن نوفل:

وذلك في قوله:-

عـــاد مـــن غـــاره يتمـــتم رعبـــا

دثـــروا زملـــوا فـــأين الغطـــاء

قالـــت ستبشـــر اجتبيـــت نبيـــا

تكـرم الضـيف تحمـل الكـل جـاءوا

قـم بنـا لابـن نوفـل لابـن عمـي

نجتلـي الأمـر: إن هـذا احتبـاء

قـال بشـرا قـدوس قـدوس أبشـر

إن هـذا النـاموس فيـه العـلاء

جـاء عيسـىٰ وقبلـه جـاء موسـىٰ

ثـم وافي إليـك أنـت النـداء

ولـئن طـال بـي زمـان بقـاء

أنصـر الحـق للمحـق الفـداء

(١)السيرة النبوية – ابن هشام – ١/ ١٥٣

إن أجـــد مخرجيـــك أقصـــدك قصـــدا

مـــــن يمينـــــي مـــــؤازرا إذ نســـــاء

مـــا أتـــىٰ مرســـلون إلا وعـــودوا

بالـــذي جئـــت واستشـــد العـــداء (١)

فنجده يتناص مع ماحدث للنبي ﷺ في أول نزول الوحي عليه وأخباره لزوجه خديجة بما حدث فذكر " ابن اسحاق قال: إنصرفت راجعا إلىٰ أهلي حتىٰ أتيت خديجة فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فو الله لقد بعثت رسلي في طلبك حتىٰ بلغوا مكة ورجعوا لي، ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت: أبشر يا بن عم وأثبت فو الذي نفس خديجة بيده إني لا أرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ثم قامت فالنطلقت إلىٰ ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزيز بن قصي، وهو ابن عمها، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوارة والإنجيل فأخبرته بما أخبر به رسول الله ﷺ أنه رأىٰ وسمع فقال ورقة بن نوفل: قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني ياخديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسىٰ وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له فليثبت فرجعت خديجة إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فلما قضىٰ رسول الله ﷺ حواره وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال: يابن أخي، أخبرنىٰ بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله ﷺ فقال له ورقة: والذىٰ نفسىٰ بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد

(١)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ٨٦: ٨٧

جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسىٰ ولتكذبنه ولتؤذينه وليخرجنه ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنىٰ رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله ﷺ إلىٰ منزله (١)

رابعا:- رحلة الطائف:

ونجده يتناص مع رحلة النبي ﷺ إلىٰ الطائف وذلك في قوله:

بعد أن ضاق جانب الأرض صدرا ... ولدىٰ الطائف؟ اعتلىٰ الإيذاء
حين أغرىٰ الجفاة بالمصطفىٰ ... الغلمة واستام الأذىٰ السفاء
ورموا بالحجارة النور فجرا ... وله "زيد" الصفىٰ فداء
والدما من يد " النبي" وساقيـ ... ـه تسيل الغداة طم البلاء
ويميل النبىٰ من حائط كا ... ن لنجلىٰ ربيعة يستقاء
ويحثان خادم الكرم يأتي ... منه بالقطف قد حواه إناء
ويغاديه بالإناء ويأتيـ ... ـه به عداس احتباه الذكاء
ويقول النبىٰ باسمك ربي ... أطعم الزاد "زيد" كل ما تشاء
وإذا بالرسول قال ومن أي ... ن ؟ فقال الغلام لىٰ نينواء
قال هذا مكان أرض ابن متىٰ ... مرحبا مرحبا فمنك اهتداء
مسلما صرت أشهد الله ربي ... واحدا والرسول أنت الضياء(٢)

في هذه الأبيات يتناص مع رحلة النبي ﷺ الىٰ الطائف والتي ذكرها " ابن هشام" في قوله: قال ابن اسحاق: فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظىٰ قال: لما انتهىٰ رسول الله ﷺ الىٰ الطائف عمد إلىٰ نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وعند أحدهم امرأة من قريش من بني

(١)السيرة النبوية – ابن هشام – ١/ ١٨٥ : ١٨٦

(٢)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ٦٤: ٦٥

جمح فجلس اليهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلىٰ الله، وكلمهم بما جاء به والقيام به علىٰ من خالفه من قومه فرفضوا.... ، فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خبر ثقيف وقد قال لهم: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتىٰ إذا اجتمع الناس وألجاوه إلىٰ حائط " لعتبة بن ربيعة " وشيبة بن ربيعة وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فعمد إلىٰ ظل حبلة من عنب فجلس فيه وأبناء ربيعه ينظران إليه....، فلما رأه ابنا ربيعة وما لقيا تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا، يقال له " عداس" فقالا له: خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم أذهب به إلىٰ هذا الرجل فقل له يأكل منه' ففعل عداس ثم أقبل به حتىٰ وضعه بين يدىٰ رسول الله ﷺ ثم قال له: كل فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال: بسم الله، ثم أكل فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال رسول الله ﷺ ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس، وما دينك؟ فقال نصرانىٰ وأنا رجل من أهل نينوىٰ، فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح " يونس بن متىٰ" فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متىٰ؟ فقال رسول الله ﷺ: ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي، فأكب عداس علىٰ رسول الله ﷺ يقبل رأسه فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ؟ قال عداس: يا سيدي مافي الأرض شئ خير من هذا لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي قالا له: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه"[1]

(١)السيرة النبوية – ابن هشام – ٢/ ٤٧: ٤٨

خامسا: صلح الحديبية: -

ونجده يتناص مع شروط صلح الحديبية الذي حدث في السنة السادسة من الهجرة النبوية وذلك في قوله:

يرجع المسلمون لا عمرة العام ... وفي القادم اعتمار يشاء
وإذا فر مشرك من ذويه ... فهو عن يثرب معاد مفاء
وإذا جاء مسلم لقريش ... لن يردوه بل هو الإبقاء
قال فأكتب علىٰ بند فبندأ ... بعد بسم الله فهو ابتداء
فبدأ من سيل الرفض حتىٰ ... باسمك اللهم الذي قد يجاء
اكتب اسما ومن أب ليس إلا ... ثم ما بعد يذكر الأباء
قال لا بأس يا علي لتكتب ... ماسيملي سهيل ذا الإملاء
فإذا بالصحاب لووا رؤوسا ... وغدا بينهم يثور الإباء (١)

فقد ذكر " ابن هشام" قال: قال " ابن اسحاق قال الزهري: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو الىٰ رسول الله ﷺ وقالوا له: ائت محمد فصالحه...، فلما رآه رسول الله – ﷺ – مقبلاً قال: وقد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل فلما انتهىٰ سهيل إلىٰ رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، ثم جرىٰ بينهما الصلح....، ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبىٰ طالب فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهم، فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صلح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمر، قال فقال سهيل:

(١)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ١٠٣: ١٠٤

لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك، فقال رسول الله ﷺ: اكتب هذا ما صلح عليه محمد بن عبد الله، سهيل بن عمرو، اصطلحا علىٰ وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض علىٰ أن من أتىٰ محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه، وإنه لا إسلال ولا إغلال، وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه...، وأن ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها [1]

فتح مكة:-

ونجده يتناص مع " فتح مكة" الذي حدث في شهر رمضان من السنة الثامنة من الهجرة النبوية الشريفة وذلك في قوله: -

وأتىٰ فتح مكة النصر فيه	حطم الشرك فيه والشركاء
جاء جيش النبي يحمل نصرا	بعده أقبل الوفود الوضاء
طهرت كعبة من الشرك دقت	بعد أصنامه وخر الدعاء
فقد أتىٰ الحق دامغا رأس من	مسه الروع والفناء انبجاء
وغدا الدين للإله فلا شر	ك ولا غيره له الكبرياء
ونداء الأذان كبر في البي	ت ولله قبلة ونداء [2]

(١)السيرة النبوية – ابن هشام – ٣/ ٢٠٣

(٢)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ١٠٤: ١٠٥

فذكر " ابن هشام" قال " قال ابن اسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة واطمأن الناس خرج حتىٰ جاء البيت فطاف به سبعا علىٰ راحلته يستلم الحجر بمحجن في يده، فلما قضىٰ طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف علىٰ باب الكعبة وقدا استكف له الناس في المسجد، قال ابن اسحاق: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام علىٰ باب الكعبة فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعىٰ فهو تحت قدمىٰ هاتين إلا سدنة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة.....، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالأباء والناس من أدم وأدم من تراب ثم تلا هذه الآية: يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم...، ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء " [1]

❁❁❁❁❁

(١)السيرة النبوية – ابن هشام – ٤/ ٣٧: ٣٨

" التناص مع الشعر العربي "

لا ريب أن الشعر العربي بعصوره المختلفة يعد مادة خصبة بدلالتها البارزة وإيحاءاتها المختلفة التي تثري التجربة الشعرية وتعمل علىٰ الربط بين العصور المختلفة وبخاصة " أن التفاعل الخلاق بين الشعراء المعاصرين.....، والأدباء القدامىٰ والمحدثين من العرب والأجانب أنشأ علاقة حلولية متبادلة بين زمنين الماضي والحاضر، ولا يحضر الماضي باعتباره مصدرا من مصادر الاحتذاء والتقليد والتكرار بل باعتباره مصدرا للابتكار والدهشة حيث تعاد صياغة النص الشعري الموروث وفق نص قديم جديد يكتنز بأبعاده الدلالية شمولية وإنسانية في الوقت نفسه "[1]

والشاعر بذلك يمد جسر التواصل بين الماضي والحاضر.

والتناص الأدبي يقصد به: " تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة وحديثة سواء كانت شعراً أم نثرا بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان علىٰ الفكرة التي يطرحها الشاعر أو الكاتب أو الحاجة التي يجسمها ويقدمها " [2]

فالتراث بكل أشكاله وألوانه وأنواعه يعد حقلا معرفيا خصبا يحتاج إلىٰ نظر نقدي لاختيار العناصر الحية منه والقدرة علىٰ الديمومة والتي تصلح لأن تكون شواهد قادرة علىٰ التجديد والتموضع في نصوص جديدة

(١)أفاق الرؤية الشعرية – د/ ابراهيم نمر موسىٰ – ص ١٢٩ – ط/ وزارة الثقافة الفلسطينية الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠٠٥ م

(٢)التناص نظريا وتطبيقا – د/ محمد الزغبىٰ – ص ٥٠ – ط/ مؤسسة عمون للدراسات والنشر –الأردن ٢٠٠٠ م

وتستعصي علىٰ الاستهلاك الآلي لما تختزنه من ظلال وثراء يتأبىٰ علىٰ الاندثار والزوال" (١)

ومن هنا كان للتناص الأدبي دورمهم في إثراء لغة النص الشعرىٰ، وتحويله إلىٰ قوىٰ دافعة تثرىٰ التجارب الأدبية للشعراء، وتنقل رؤيتهم ومبتغاهم إلىٰ المتلقىٰ، الأمر الذي جعل العودة الىٰ التراث هدفا غنيا يستثمره الشاعر لمنح نصه قيمة احتجاجية وجمالية.

والتناص مع الشعر العربي عند شاعرنا "عبد المجيد فرغلىٰ" قليل في ديوانه " عودة إلىٰ الله " وربما يرجع السبب في ذلك إلىٰ اشتمال الديوان علىٰ كثير من القصائد الدينية ورغبة الشاعر الدائمة في التجديد فهو لا يقف أمام وضعية واحدة متحجرة في الكتابة ولا ضير من استدعاء واستلهام الشعر وجلبه الىٰ القصيدة ما دام موظفا التوظيف الجيد ومتعانقا مع دلالة النص.

وذلك مثل قوله:-

والأرض هزتهـا النسـائم فرحـة ولد الهدىٰ فترىٰ الوجود ضياء (٢)

فقد تأثر في هذا البيت بقول " شوقي"

ولـد الهـدىٰ فالكائنـات ضـياء وفـم الزمـان تبسـم وثنـاء (٣)

(١)مجلة فصول " عبد الوهاب البياتي الشاعر العربي المعاصر والتراث – مجلد ١ عدد ٤ – ص١٩ عام ١٩٨١م

(٢)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ١٦

(٣)الشوقيات لأحمد شوقي – ١/ ٢٣ – مكتبة التربية – بيروت – ١٩٨٧ م

فقد ظهر من خلال البيتين تأثر "عبد المجيد فرغلي" ببيت " أحمد شوقي" وتناص معه في ألفاظ البيت فشوقي في تعبيره عن أثر مولد النبي ﷺ علىٰ الوجود، الذي جعله مظلما يطمس أضواء ظلام الكفر والوثنية ثم جاء النبي ﷺ فمحا ظلامه وبدد غيمومه فعلا الكون نور الإسلام بمولد النبي ﷺ.

أما "عبد المجيد فرغلي" فجعل الأرض قبل مولد النبي ﷺ في حالة سكون نابعه من الحزن علىٰ ما وصل اليه الأمر من طغيان الوثنية والعبودية للبشر، فجاء مولد النبي ﷺ؛ لتتحرك النسائم الساكنة فرحة بقدومه وتسري الفرحة إلىٰ الأرض فتخرج من حالة السكون إلىٰ النشاط.

ورغم محاولة "عبد المجيد فرغلي" الزيادة علىٰ معنىٰ "شوقي" لكن كان بيت "شوقي" أقوىٰ تعبيريا ليس فقط من خلال التقديم: "ولد الهدىٰ والذي يمثل السبب وبعده كانت النتيجة فالكائنات ضياء ولكن كان بيت شوقي أكثر توافقا مع معايير الكون والطبيعة.

فشوقي قدم النور ثم جاء بالحركة وضياء الصبح عندما يشرق علىٰ الأرض تنشط الكائنات فرحة بزوال الليل وقدوم نور الصباح.

أما " عبد المجيد فرغلي" فقدم الحركة ثم ثنىٰ بالضياء والنور.

وفي قوله:-

والأرض أغصـــان تفـــتح زهرهـــا وتضـــوعت مســـكا بـــه الغبـــراء [1]

فقد تناص فيه مع قول شوقي:

(١)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ١٨

بــك بشــر الله الســماء فزينــت وتضـوعت مسـكا بـه الغبـراء (١)

أراد "عبد المجيد فرغلي" التعبير عن فرحة الأرض بمولد النبي ﷺ فعمد علىٰ إصباغ الزينة علىٰ الكون ومكوناته فاختار الأرض التي سيطأها النبي ﷺ وكانت قد تساقط أوراقها وزهورها، ثم جاء الربيع وهو مولد النبي ﷺ فأخضرت وأينع زهرها.

والنظرة المقارنة بين بيت شوقي وبيت عبد المجيد فرغلي نكشف تفوق أحمد شوقي في بيته.

فتبدو الزينة أقوىٰ وأظهر في السماء فها هي النجوم المتلألأة المنثورة في السماء ليلاً والشمس المشرقة في السماء الصافية مع بديع السحب نهارا.

وكذلك أضفي شوقي صبغة دينية لبيته فجعل النبي ﷺ بشرىٰ من الله عزوجل – نفسه.

أما عبد المجيد فرغلي فلم يزد علىٰ شوقي واكتفي بتكرار الشطر الثانىٰ من البيت.

وقول فرغلي:-

صـدقت قـول أميرنـا شـوقي في ومـن السـموم الناقعـات دواء (٢)

تناص مع شوقي في قوله:-

الحـرب في حـق لـديك شـريعة ومـن السـموم الناقعـات دواء (٣)

(١)الشوقيات – ١ / ٢٣

(٢)ديوان / عودة إلىٰ الله – ص ٢٩

(٣)الشوقيات – ١/ ٢٧

فقد توارىٰ عبد المجيد فرغلي تماما في بيته واكتفي بالثناء علىٰ أحمد شوقىٰ والتصديق لقوله " ومن السموم الناقعات دواء " وأبهم المعنىٰ الذي قصد اليه أحمد شوقي بفصله هاهنا ما بين شطري البيت.

فشوقي لا يقصد الحكمة لذاتها بكون بعض السموم النافعة علاجا لبعض الأدواء ولكن كان مقصد شوقي في المقام الأول التأكيد علىٰ العزيمة الصادقة للنبي ﷺ وحرصه علىٰ تطبيق حدود الله وخوض المعارك لنصرة دينة وإعزازه علىٰ وجه البسيطة، فكان العلاج الحرب لشفاء الأرض من داء الكفر.

الخاتمة

أحمدك اللهم حمدا يليق بجلالك وعظيم سلطانك وأصلي وأسلم علىٰ خير خلقك محمد بن عبد الله وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

وبعد...

توقفت هذه الدراسة حول مصطلح " التناص" في شعر عبد الحميد فرغلي ديوان عودة إلىٰ الله أنموذجا وقد تمثل ذلك في التناص الديني والتناص مع الشعر العربي.

وقد تمخضت هذه الدراسة عن النتائج الآتية:

أولا:- المصدر الديني من أهم المصادر التي كان لها حضور بارز في تناص الشاعر عبد المجيد فرغلي وهذا راجع إلىٰ نشأته الريفية والدينية التي درج عليها.

ثانياً:- استثمر الشاعر سيرة الرسول ﷺ مستدعيا من خلالها عبق الماضي بما تشتمل عليه هذه الأحداث من حوار تثري فيه روح القصة القرءانية.

ثالثا:- كان لهذا المصطلح الحداثي بذور في نقدنا العربي القديم من خلال المصطلحات النقدية القديمة " الاقتباس و التضمين و السرقة " والتي تتقاطع في وظيفتها مع هذا المصطلح الجديد وتشبهه إلىٰ حد كبير، مما يؤكد أن هذه المصطلحات بعض التناص وليس كل التناص.

رابعاً:- تعددت محاور التناص لدىٰ الشاعر مما شكل زخما فكريا وفنياً أضفي علىٰ القصيدة روح العصر وعبق الماضي.

خامساً:- استثمر الشاعر ثقافته المتنوعة والمتعددة في شعره، والتي تناص معها فأحدث بذلك ترابطا بين الماضي والحاضر مع الباس الماضي ثوب الحاضر ليضفي عليه من خلاله ظلالا وارثة وألوانا بديعة.

وأخيراً:

فلست أدعي أن هذا العمل تبوأ ذروة الكمال إذ إن الكمال لله -ﷻ- وحده والنقص من طبيعة البشر غاية الأمر أني ثابرت وصح مني العزم، فإن حالف هذا العمل التوفيق فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وإن كانت الأخرىٰ فحسبي أنني أجتهدت.

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾.

المصادر والمراجع

أولا:- المصادر والمراجع

١ – استلهام القرآن الكريم في شعر أمل دنقل – د/ إخلاص فخري عمارة – دار الأمين – القاهرة – الأولىٰ ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

٢ – افتتاح النص الروائي – النص والسياق – سعد يقطين – المركز الثقافي – بيروت – الأولىٰ ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

٣ – أفاق الرؤية الشعرية – د/ ابراهيم نمر موسي – وزارة الثقافة الفلسطينية – الهيئة العامة للكتاب – ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥ م

٤ – تاج العروس من جواهر القاموس – مرتضي الزبيدي – ت/ مجموعة من المحققين – دار الهداية – الكويت – دت.

٥ – التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر " أحمد العوضي أنموذجا" – عصام حفظ الله واصل – دار غيداء للنشر والتوزيع – عمان – الأولىٰ ١٤٣١ هـ/ ٢٠١١ م.

٦ – التناصية – مارك أنجينو – ترجمة / أحمد المديني – دار الشئوون الثقافية العامة – بغداد – العراق ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

٧ – الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – ت / عبد الله بن عبد المحسن التركي – نشر / مؤسسة الرسالة ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٦ م.

٨ – الحيوان – الجاحظ – ت / عبد السلام هارون – دار الكتاب العربي – بيروت – دت.

٩ – الخطيئة والتكفير من البنيوية إلىٰ التشريحية – عبد الله الغذامي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الرابعة ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨ م.

١٠ – دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تعليق / محمود شاكر – مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

١١ – دراسات في النص والتناصية – ليون سوموفيل – ترجمة / محمد خير البقاعي – مركز الأنماء الحضاري – حلب ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.
١٢ – ديوان الأخطل – ت / فخر الدين قباوة – دار الفكر المعاصر– بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.
١٣ – ديوان امرئ القيس – ت / محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف – الثالثة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.
١٤ – ديوان حسان بن ثابت – ت / وليد عرفت – دار صادر – بيروت ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م.
١٥ – ديوان زهير بن أبي سلمي – شرح ودراسة / إبراهيم قميحة – دار الشواف للطباعة والنشر – الرياض – الأولىٰ ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.
١٦ – ديوان الشوقيات – أحمد شوقي – مكتبة التربية – بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
١٧ – ديوان عنترة بن شداد – دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
١٨ – ديوان عودة إلىٰ الله – عبد المجيد فرغلي – إعداد / عماد الدين عبد المجيد فرغلي – تقديم / د/ عبد العالي قادا – مؤسسة بسطرون للطباعة والنشروالتوزيع – قسنطينة – الجزائر – الثانية ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠ م.
١٩ – رحالة الشعر العربي – سيرة ومسيرة – عماد الدين عبد المجيد فرغلي – تقديم د/ حميده قادوم – مؤسسة بسطرون للطباعة والنشر والتوزيع – قسنطينة – الحزائر – السادسة ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠ م.
٢٠ – سنن الترمذي – أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي – مؤسسة الرسالة ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٥ م.

٢١ – السيرة النبوية – ابن هشام – ت / طه عبد الرؤوف سعد – دار احياء الكتب العربية – فيصل عيسي الحلبي – دت.
٢٢ – صحيح البخاري – أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري – ضبطه وخرج أحاديثه / مصطفي ديب البنا – دار المصطفي – دت.
٢٣ – صحيح مسلم – أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري – مطبعة الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – دت.
٢٤ – صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني – دار البشائر للنشر والتوزيع – دمشق ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.
٢٥ – الصوفية في الشعر العربي المعاصر – محمد بن عماره – شركة النشر والتوزيع – المغرب – الأولىٰ ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.
٢٦ – علم النص – جولياكريستفيا – ترجمة / فريد الزاهي – مراجعة / عبد الجليل ناظم – دار توبقال للنشر – الدار البيضاء – المغرب – الأولىٰ ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.
٢٧ – المبدأ الحواري – باختين – ترجمة / فخري صالح – دار الشؤون الثقافية – بغداد – الأولىٰ ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م.
٢٨ – مختصر تفسيرابن كثير – اختصار الشيخ / محمد كريم راجح – دار المعرفة – بيروت – دت.
٢٩ – المسيارفي النقد الأدبي – حسن جمعة – منشورات اتحاد الكتاب العربي – دمشق ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
٣٠- مصطلح التناص في خطاب محمد عزام كتاب النص الغائب أنموذجا – عمر شادلي – ط/ جامعة قاصدىٰ مرباح – الجزائر- كلية الأداب ٢٠١١م.
٣١ – المقدمة – ابن خلدون – دار احياء التراث العربي – بيروت – دت.

٣٢ – المنجد في اللغة – علي بن الحسن الأزدي – د/ أحمد مختارعمر – ضاحي عبد الباقي – ط/ عالم الكتب – القاهرة – ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.
٣٣ – نظرية النص – رولان بارث – ترجمة / محمد خير البقاعي – مجلة العرب والفكر العالمي – بيروت – لبنان – الأولىٰ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

ثانيا الدوريات

١ – مجلة فصول – مجلد ١ عدد ٤ – ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.
٢ – التناص " النشأة والمفهوم" جدارية محمود درويش أنموذجا – إيمان الشنتيني – مجلة أفق الالكترونية – العدد ٣٨ لسنة ٢٠٠٢ م.
٣ – التفاعل النصي والترابط النصي بين نظرية النص والاعلاميات – سعد يقطين – مجلة علامات – المجلد الثامن – العدد ٣٢ – صفر ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠١ م.